صـورة العـربي..
في وسائل الإعلام الأوروبية:
الأبعاد، النتائج، وطرق المعالجة

د.عبدالله الفقيه*[1]

مقـدمـة:

يتوقف مستقبل العلاقات العربية الأوروبية والكيفية التي ستتطور بها مثل تلك العلاقات على الخيارات التي ستقوم بها الشعوب الأوربية من جهة والشعوب العربية من جهة أخرى في الوقت الحاضر. وهناك خياران لا ثالث لهما هما: خيار الماضي وخيار المستقبل. بالنسبة لخيار الماضي فيقوم على استمرار كل طرف، ومن خلال المناهج الدراسية ووسائل الإعلام والمعرفة المختلفة في تصوير الآخر على أنه النقيض الناقص للشيء الكامل الذي يمثله. أما خيار المستقبل، فيقوم على أحداث تحول في الطريقة التي ينظر فيها كل طرف إلى الآخر وبشكل تعزيز القدرة على التعايش بين الشعوب الأوربية والعربية. وإذا كان عالم السياسة الأمريكي الشهير صامويل هنتنجتون المدرس في جامعة هارفارد قد تنبأ في مقال بعنوان "صراع الحضارات" كتبه بعد انتهاء الحرب الباردة ونشر في مجلة فورين أفيرز الأمريكية في صيف عام 1993 بأن الصراع في المستقبل سيكون صراعاً بين الحضارات، فإن كثيرين من نقاد هنتنجتون يؤكدون على أن الماضي رغم أهميته لا يحدد شكل الحاضر ولا المستقبل، وإن الناس أينما كانوا هم الذين يصنعون المستقبل، وهم الذين يختارون نوع العلاقات مع الآخرين، وبأيديهم وحدهم جعل ذلك المستقبل تعاونيا أو صراعياً. فالانحياز لخيار الماضي سيكون كفيلا بالتأكيد على الاختلافات وبجعل تلك الاختلافات (الثقافية عند هنتنجتون، والاقتصادية والإيديولوجية عند غيره) مصدراً للصراع.

---

* أستاذ العلوم السياسية بجامعة صنعاء.

1. يـود الباحـث أن يـتقدم بخالص الشكر وجزيل العرفان لمؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية والسفارة الألمانـية بصـنعاء على الدعوة الكريمة التي وجهت له للمشاركة في ندوة "دور وسائل الإعلام في الحـوار العربـي الأوروبي" وللدعم الذي قدم له لكتابة هذه الورقة ويخص الباحث بالشكر كلا من الصديق فيليكس إيكنبرج مدير مكتب منظمة فريدرش ايبرت في صنعاء ومساعده الأخ احمد اليمني كما يشكر الباحث نقابة الصحفيين اليمنيين التي ساهمت في التحضير للندوة ثم اعتذرت في اللحظات الأخـيرة عـن المشاركة بصفة رسمية ويخص الباحث بالشكر كلا من حافظ البكاري، وسعيد ثابت سعيد، وعلى الجرادي، وكلهم من القيادات الشابة والمؤثرة في نقابة الصحفيين اليمنيين. وأخيرا، يود الباحـث أن يخص بالشكر الأنسة عبير الوجيه الباحثة في الشئون السياسية على ما بذلته من جهد في جمع المعلومات التي تم استخدامها في كتابة هذه الورقة في زمن قياسي.

ولأن التطورات في مجالات الاتصالات والمواصلات وتكنولوجيا المعلومات قد جعلت سكان كوكب الأرض أشبه بسكان قرية، فإن الخيار العقلاني المنحاز إلي الحياة هو أن يعمل الجميع على بناء مستقبل يقوم على التعاون والتعايش. ولا يمكن بناء ذلك المستقبل بإغفال الماضي وإنكاره وإنما يتم بناء المستقبل عن طريق مراجعة ذلك الماضي ومحاولة فهمه والعمل على تعزيز إيجابياته وإضعاف سلبياته. وفي مراجعة الماضي لا بد من التوقف عند الصورة التي يملكها الأوروبي عن العربي بين العربي والأوروبي. والاهم من ذلك هو أن تتم تلك المراجعة من خلال حوار بين الطرفين يذيب الجليد المتراكم ويحدد الطريق نحو المستقبل.

سوف يقتصر دور هذه الورقة على مناقشة صورة العربي في الإعلام الأوربي بينما سيتولى مشاركون آخرون مناقشة الصورة الأخرى، صورة الأوربي في الإعلام العربي. بالنسبة للعربي فالمقصود به هنا ولإغراض هذه الورقة " الشخص الذي ينتمي بفعل المولد أو النسب إلي إحدى الدول العربية وسواء أكان مقيما في أوروبا أو في أي مكان آخر في العالم " أما بالنسبة للدول الأوروبية فالمقصود بها بشكل أساسي دول أوروبا الغربية. ومع انه ليس كل مسلم عربي وليس كل عربي مسلم إلا أن هذه الورقة، ولأغراض استجلاء صورة العربي في الإعلام الأوروبي الذي لا يفرق بين الاثنين، تستخدم المفهومين بالتبادل وليعنيا ذات الشيء ما لم يقتض السياق خلاف ذلك.

تنقسم ورقة العمل هذه إلى أربعة أقسام. في القسم الأول يتم استعراض المصادر المختلفة للصورة السلبية للإنسان العربي في الإعلام الغربي، وفي القسم الثاني يتم التأمل في بعض ملامح تلك الصورة التي يتم صناعتها. أما القسم الثالث، فيتناول الآثار المحتملة لتلك الصورة السلبية على الإنسان العربي والأوربي. ويورد القسم الأخير عددا من المقترحات التي من شأنها أن تساعد على أحداث عملية تحول من الوضع الحالي الذي يهيئ للصراع إلى وضع جديد يساعد على التعايش والقبول بالآخر المختلف.

أولاً: محددات الصورة

تتشكل صورة الإنسان العربي في الذهن الأوروبي بفعل تداخل، تقاطع، تفاعل، وتراكم العديد من العوامل، والأحدث والمؤثرات الذاتية والموضوعية. فعملية "تكوين الصورة " عن شعب أو نظام معين هي وفقا للدكتور محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر، " عملية تحتاج إلى زمن طويل قد يمتد إلى أجيال عديدة"[1] وحيث إنه لا يتسع المجال هنا لتناول أي حدث أو عامل بالتفصيل فإنه لابد من الإشارة ولو العابرة إلى العوامل الرئيسية التي ساهمت (ومازالت تساهم) في التراكم القائم لصورة العربي في الذهن الأوروبي، وهي الصورة التي تعيد وسائل الإعلام تأكيدها المرة بعد الأخرى.

1. قدس برس. "التناول الإعلامي الأوروبي للشأن الإسلامي." islam - online

وتتمثل تلك العوامل، من وجهة نظر الباحث، في الآتي:

1- الحروب بين مسيحيي الغرب ومسلمي الشرق

مع إن الصراع التاريخي بين الأوروبيين والعرب كان في أعماقه، من وجهة نظر البعض، صراعا سياسيا واقتصاديا إلا أن إضفاء الصبغة الدينية على ذلك الصراع قد أضاف إليه بعدا قداسيا جعله قابلا للتجدد والاستمرار. وقد ساهمت الغزوات الإسلامية لأوروبا والمسيحية للشرق العربي (الحرب الصليبية التي دارت في عام 1095) في رسم صورة الآخر العربي ببعديها الديني والدنيوي في الذهن الأوروبي بطريقة تخدم ضرورات المعركة.

2- الاستعمار الأوروبي للشرق العربي

شكلت الأهمية الإستراتجية للمنطقة العربية نقطة جذب للأوروبيين عبر التاريخ.[1] ولابد من أن تتناقص تلك الأهمية بفعل التطورات التكنولوجية في مجالات مثل المواصلات والاتصالات والتسلح، فأنها قد زادت في القرن العشرين بفضل المخزون النفطي الهائل الذي تم اكتشافه في المنطقة. وكما تطلب الاستعمار بشكله التقليدي رسم صورة للآخر (العربي والمسلم) تنفي عنه صفة الإنسانية، فإن الاستعمار بشكله الجديد قد تطلب أيضا تكريس نفس الصورة مع استيعاب بعض المتغيرات داخلها.

وكما احتاج الاستعمار القديم إلى تبرير فإن الاستعمار بشكله الحديث يتطلب هو الآخر تبريرا. فالحاجة الأوروبية (والألمانية على نحو خاص) إلى النفط العربي بأسعار يحددها المستهلك وليس المنتج أو حتى السوق، قد اقتضت رسم صورة معينة للعربي تجعله ناقص الأهلية ولا يمتلك القدرات الذهنية والعقلية التي تؤهله للسيطرة على موارده النفطية التي هي مهمة لكل الناس وتحديد أسعارها وتوظيف عائداتها بطريقة سليمة بعيدا عن موائد القمار.[2] كما أن الحاجة إلى النفط قد فرضت على الغرب بشكل عام استخدام الدعاية ضد القادة العرب الذين يحاولون تأكيد استقلاليتهم ويمثلون من وجهة نظر الغرب تهديداً لاستمرار تدفق النفط.[3]

وتبين الطريقة التي يتعامل بها الإعلام الغربي مع الغزو الأمريكي للعراق التوظيف المقصود للإعلام في رسم صورة للأحداث تبرر الغزو ولا تدينه. وتوظف وسائل الإعلام الغربية وتغطيتها للأحداث لغة تدين المحتلين وتمجد المحتل، تحول الغازي إلى محرر، وانتهاك حقوق الإنسان بطريقة بشعة إلى " ديمقراطية " وفي سبيل الحفاظ على صورة معينة للعربي يتم تغطية أحداث معينة دون أخرى. وكما تقول

1. سامي مسلم. صورة العرب في صحافة ألمانيا الإتحادية. مركز دراسات الوحدة العربية.

2. علاء أبو ضهير. "صورة العرب في الغرب" http://www.najah.edu/arabic/articles/149.htm

3. ميشائيل كونجيك.(1992) مشكلات تدفق الأخبار على المستوى الدولي وصور الأمم، دراسة تحليلية تتناول صورة العرب في وسائل الإعلام الغربية.ترجم عن الألمانية في عام 1992م ونشرت الحلقة الأولى منه في متابعات إعلامية، العدد 19 أكتوبر 1992/ ص 85 - 92 (الاقتباس من صفحة 86).

إحدى الصحفيات، فإن هناك أحداثاً يتم تغطيتها بواسطة الإعلام الغربي وهناك أحداث أخرى يتم التغطية عليها.[1]

3- الصراع العربي الإسرائيلي

تمكن اليهود المؤيدون لدولة إسرائيل وبفضل ما يملكونه من نفوذ في صناعة السينما وفي وسائل الإعلام الأخرى من استغلال الاستعداد الأوروبي لرؤية العربي كنقيض سلبي فعملوا على تعزيز ذلك التصور في الذهن الغربي وذلك خدمة لقضيتهم. وإذا أخذت ألمانيا كمثال على تأثير الصراع العربي الإسرائيلي في رسم صورة العربي في الذهن الأوروبي فإنه من الواضح أن التجربة الألمانية المؤلمة في ظل النازية قد خلقت استعدادا لدى النخب الألمانية لقبول وجهة النظر الإسرائيلية حول النزاع وتبنيها دون تمحيص دقيق. وجاءت الصورة التي صنعتها أجهزة الإعلام الألماني للعربي لتعكس ذلك الإنحياز لإسرائيل. وجاءت صورة العربي "المتخلف" الذي لا يستطيع استغلال موارده أو تطوير أرضه أو الاستفادة من التكنولوجيا الغربية، والمتعصب الذي يريد إلقاء اليهود أصحاب الحق الشرعي في العودة إلى "أرض الميعاد" بالبحر، والجبان الذي يفر من أمام الجندي الإسرائيلي، والإرهابي الذي يقتل النساء والأطفال لتلائم الموقف السياسي الألماني والإسرائيلي.

4- أحداث الـ11 من سبتمبر عام 2001

أدت أحداث الـ11 من سبتمبر 2001 إلى حملة إعلامية واسعة ضد العرب والمسلمين صورتهم بأنهم الخطر الذي يهدد أوروبا. وتظهر الحرب غير الشرعية وغير العادلة على العراق، والغزو الأمريكي لأفغانستان والأحداث المتعلقة بالإرهاب فشل الإعلام الغربي في تقديم صورة عادلة ومتوازنة في تغطيته للإسلام وللعرب.[2] ومع أن أحداث الـ 11 من سبتمبر لم تكن السبب الرئيسي للصورة السلبية السائدة عن العرب في أوروبا إلا أن تلك الأحداث المأسوية قد قدمت لوسائل الإعلام دليلاً قويا على دقة الصورة التي قدمتها عن العرب قبل ذلك التاريخ.

5- طريقة التفكير

يميل الناس إلى تصنيف ادراكاتهم وأفكارهم إلى أنماط (صور في الذهن) وينظر علماء النفس إلى ميل الإنسان إلى التنميط على أنه ظاهرة طبيعية تمكنه من تطوير قوالب ذهنية تساعده على فهم البيئة التي يعيش فيها ويمثل النمط أي تعميم نوعي يتم إسقاطه على مجموعة من الناس مع التغاضي عن التنوع والاختلاف[3] ويمكن

1- Magda abu- fadil.(2005) "is coverage of arabs, islam good ?wwstern media under scrutiny?" presentation "reporting on the Islamic world" at ipi world congress & 54th general assembly organized bt the international press institute Nairobi, Kenya may 21–24 ipj. lau. edu. ib/outreach /2005/05– unfairportayal/ipi-nairobi-5-05-pdf.

2- Magda Abu- fadil. (2005). "is coverage of Arabs, Islam good? Western media under scrutiny ?"

3- Nelly kostoulas – Morikis.(2005)." Emeriti pre- service teachers' perceptions of Europe and Europeans and their teaching implications." international Education journal

للأفكار النمطية عن الآخر أن تكون سلبية أو إيجابية ولكن الاهتمام عادة ما ينصب على الأنماط السلبية التي يكونها الإنسان عن الآخرين، وتظهر الدراسات أنه يتم النظر إلى الآخر على انه متجانس وآحادي. ولأن الناس يفضلون المألوف لأنه لا يحتاج إلى جهد كبير في فهمه أو التكيف معه، فإنهم يميلون إلى تعريف الثقافة من خلال معتقداتهم وممارساتهم والى فهم الاختلافات بين ثقافتهم والثقافات الأخرى على أنها تعبير عن قصور في الثقافات الأخرى. ويتم الحكم على الآخر من خلال الثقافة الخاصة بالمجموعة التي تقوم بالحكم والتي ينظر إلى ثقافتها على أنها الشكل المطلوب أو المتفوق. وحيث إن طريقة تفكير الإنسان تشكل محددا من محددات صورة الآخر فإنه من المهم الإشارة هنا إلى أن الصور النمطية المقولبة تصنع داخل الثقافات وفي العلاقات التي تقوم بين الثقافات، وهي بالتالي لا تستهدف جنساً معيناً أو إتباع ديانة معينة أو ظرفاً زمنياً محدداً.

6- الخبراء الفاقدون للخبرة

هناك من يرى أن السبب الرئيسي لقيام وسائل الإعلام الأوروبية بإعادة إنتاج الصور السلبية للعرب يكمن في عدم امتلاك القائمين بالتغطية الإعلامية للموضوعات التي تتصل بالعرب وبالإسلام وكتاب الرأي والخبراء المزعومين الذين يتم استقطابهم في البرامج، المختلفة، للمعرفة الكافية المتصلة بالموضوعات التي يقومون بتغطيتها[1] ففي حلقة نقاش نظمها أحد المعاهد الألمانية تحت عنوان " حوار الإعلام الألماني العربي " رفض معظم المشاركين من الطرفين أن تكون الصورة السلبية المرسومة للإسلام والمسلمين في الغرب تعبر عن وجود "مؤامرة" بقدر ما تعبر عن وجود سوء فهم وعجز في المعرفة.

فقد ذهب الصحفي هيكو فاوتاو الذي يعمل مراسلاً في الشرق الأوسط لـ suddeutsche zeitung للقول بأن هناك صعوبة في تغطية أحداث العالم العربي بشكل منتظم نظرا لانشغال وسائل الإعلام الألمانية بالموضوعات الأوروبية مثل تبني العملة الموحدة [2] وذهب أحد المراقبين إلى ذكر حقيقة أن المراسلين الغربيين في العالم العربي عادة ما يقومون بتغطية أكثر من بلد وهم بالتالي لا يملكون الوقت لتقديم تقارير على درجة عالية من الجودة ويذكر الدكتور مشائيل كونجيك من جامعة ماينز في ألمانيا أن كارل ماي الذي أثرت كتبه على صورة العالم العربي في الذهنية الألمانية لقرابة قرن من الزمن لم يزر الشرق قط وأنه استمد معلوماته عن الشرق من الرحالة وبالتحديد من الرحالة والمغامر البريطاني

1 - Magda Abu- fadil. (2005). " is coverage of Arabs, Islam good? Western media under scrutiny ?"

2 - Sebastian krber." An End to Self – Centeredness ? 1st German – Arab Media Dialogue he delberg "http://www.ifa.de/dialoge/earab1b.htm

international Education journal 6(4),501-551,found on http://iej.cjb.net

فرانسيس بريتون الذي عاش خلال الفترة من 1821 وحتى عام 1890[1].

ويشير جون أو لترمان مدير برنامج الشرق الأوسط ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن أن وسائل الإعلام الغربية تفترض مشاهدين ذي إطلاع ودراية و"تتنصل من أي مسئولية حقيقية عن تثقيفهم" [2] ويذهب سفينه شيفر في مقال له حول صور الإسلام في الإعلام الألماني إلى القول بأن "الخوف من الإسلام في ألمانيا هو سوء فهم وليس موقفاً نابعاً عن نية سيئة"[3].

7- الضعف العربي:

يتحمل العرب والمسلمون أنفسهم جزءاً كبيراً من المسئولية عن الصور السلبية التي ترسمها لهم وسائل الإعلام الغربية، فقد فشلوا خلال السنوات الماضية في إعطاء الآخرين المعلومات الكافية عن أنفسهم وفي تصحيح الصورة السلبية المرسومة لهم[4]، ولا يقتصر هذا الفشل على العرب في أوطانهم بل يمتد أيضاً إلى الجاليات العربية المقيمة في أوروبا والتي لم تتمكن لأسباب كثيرة من مخاطبة الرأي العام الأوروبي من خلال القنوات الأوروبية المتنفذة[5].

8- التنافس الإعلامي:

يذهب الصحفي حسام شاكر مراسل وكالة "قدس برس" في فيينا إلى القول بأن دخول الاستثمارات الخاصة في مجال الإعلام المسموع والمرئي الذي كان محتكراً للدولة قد أنعكس سلبا على الصورة الإسلامية في النمساء، ويبدي شاكر مخاوفه من أن التنافس الشديد بين وسائل الإعلام المختلفة وهو التنافس الذي يقود إلى البحث عن الإثارة قد يؤدي إلى "الزج بالإسلام والمسلمين في قوالب من الإثارة والتحامل[6]" ويشير السيد شاكر إلى التجربة الألمانية والتي يظهر فيها الإعلام الخاص في تعامله مع الإسلام والمسلمين أبعد ما يكون "عن الموضوعية والتوازن في العرض، وأقرب إلى الإثارة بالمقارنة مع القنوات الحكومية، رغم أن الأخيرة لا تسلم كذلك من التحيز"[7].

وبإلقاء نظرة سريعة على الأخبار التي تم تغطيتها في أوروبا خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين وما بعدها فإنه يلاحظ أن الموضوعات الموضحة في الشكل

1- مشائيل كونجيك (1992) مشكلات تدفق الأخبار على المستوى الدولي وصور الأمم، دراسة تحليلية تتناول صورة العرب في وسائل الإعلام الغربية (الاقتباس من صفحة 86).

2- جون أولترمان "الاستغراب أو الاستشراق صراع و [كاريكاتير] على الأخبار التلفزيونية" 89.

3- سابينه شيفر (2004) " الإسلام في الإعلام الألماني: حقائق مختلفة وصور مشوهة " ترجمة عارف حجاج
http://www.qantara.de/webcom/show_article.php/_nr-177/i.html

4-Magda Abu-Fdail.(2005). "is Coverage of Arabs , islam Good ? Western Media Under Scrutiny?"

5- قدس برس (18 مايو 2000) "التناول الإعلامي الأوروبي للشأن الإسلامي.. سلبي"
ttp://www.islamonline.net/iol-arbic/dowalia/alhadath2000-may-18/alhadath8asp.

6- المرجع السابق.

7- الرجع السابق.

رقم (1) هي التي طفت على التغطية الإعلامية وبالتأمل في هذه الموضوعات الموضحة في الشكل رقم (1) هي التي طفت على التغطية الإعلامية، وبالتأمل في هذه الموضوعات يلاحظ تداخل العوامل السابقة في تكوين الصورة السلبية ضد العرب.

شكل رقم (1): الموضوعات التي تم تغطيتها من قبل الإعلام الأوروبي خلال الخمسة وثلاثين سنة الماضية[1]

1. وقف تصدير البترول (1973 – 1974).
2. التعصب الديني في إيران (1979).
3. أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران في عام (1979).
4. النشاط الإرهابي للفلسطينيين.
5. الأزمة اللبنانية.
6. حرب الخليج الأولى.
7. استخدام الأسلحة السامة ضد الأكراد.
8. المطالبة برأس سلمان رشدي.
9. القذافي.
10. الإرهاب[2]

ثانياً: أبعاد الصورة

أدت العوامل السابقة، بالإضافة إلى عوامل أخرى أقل أهمية، إلى قيام المجتمعات الغربية برسم صورة نمطية للعربي تم تكريسها عن طريق توظيف قصص مثل ألف ليلة وليلة وعن طريق مذكرات الرحالة والمستشرقين والأفلام السينمائية التي تناولت امراء النفط والخيانة والإرهاب وكذلك الكتب التي تناولت التاريخ العربي، الحضارة العربية، الشخصية العربية[3]، كما يتم تكريس تلك الصورة عن طريق المناهج الدراسية.

وتقدم وسائل الإعلام الأوروبية صورة العربي على النحو التالي:

1- البيئة التي يعيش فيها:

يصور الكاتب الفرنسي بيير لوتي

1- ميشائيل كونجيك (1992) مشكلات تدفق الأخبار على المستوى الدولي وصور الأمم، دراسة تحليلية تتناول صورة العرب في وسائل الأعلام الغربية (الاقتباس من صفحة 87).

2- تم عرض الموضوعات هنا بالطريقة التي تم صياغتها من خلالها في وسائل الإعلام الأوروبية.

3- علاء أبو ضهير "صورة العرب في الغرب".

البيئة التي يسكن فيها الإنسان العربي بأنها تتميز بجو حار ورطب وحريم وجاريات حسناوات وحرس وديوان ونرجيلة[1].

2- صفات الرجل العربي:

يتم تصوير الرجل العربي بأنه:

- بدائي، مختلف، رجعي، بربري، شهواني، ويؤمن بالخرافات: فالفلم المسمى (علاء الدين) والذي أنتجته شركة والت ديزني يبدأ بأهزوجة تقول: "أنا من أرض بعيدة من مكان بعيد، من مكان تسافر فيه مواكب الجمال، أنا من مكان يقطعون فيه أذنك إذا لم يعجبهم وجهك، إنها بربرية لكنها على أي حال وطني"[2].
- حالم، هادئ، غني ميال إلى الكسل (الكيف)، فإذا كان الأوروبيون مولعون بالعمل فإن العرب هم النقيض من وجهة نظر الكاتب الألماني كارل ماي، فهم كسالى ميالون إلى الراحة التي هي من وجهة نظر الكاتب "بداية كل رذيلة"[3] وتصف مجلة (در شبيجل) الألمانية في عددها رقم (34) الصادر في عام 1988 سكان الخليج العربي بأنهم "أغنياء وكسالى"[4].
- لص، مخادع، منافق، عنيد، شكاك، غير متعاون، ومتمرد على السلطة، جبان وغدار.
- إرهابي، متعصب دينيا، مهاجر غير شرعي، عاطل أو تاجر مخدرات، إذا كان الإرهاب والهجرة غير الشرعية والبطالة والمخدرات تمثل أبرز مخاوف المجتمع الأوروبي فإن الأفلام السينمائية والتلفزيونية تقدم العربي بتلك الصورة[5]، ويصف صحفي ألماني اسمه إبرهارد زايدل في مقال له بعنوان (العداء للإسلام في ألمانيا) الصور التي يعكسها الإعلام الألماني للعرب والمسلمين، فتلك الوسائل تقحم العرب على أنهم حمقى " يمتنعون عن تعلم القراءة والكتابة" و" يزوجون بناتهم غصبا " و" يجاهدون عن طريق الجرائم والتقتيل ويسعون إلى فرض دولتهم الدينية على المجتمع الذي يعيشون داخله "[6]، وإذا كان قد تم ربط الحجاب في ذهن الإنسان الألماني في الماضي، كما تقول رائدة شبيب بالحديث عن اضطهاد المرآة والوصاية عليها، وعن التخلف والضعف فإنه يتم ربطه في الفترة التالية لأحداث 11 سبتمبر 2001 بالإرهاب والتطرف ومعارضة الحداثة،

1- ميشائيل كونجيك، 1992، مشكلات تدفق الأخبار على المستوى الدولي وصور الأمم، دراسة تحليلية تتناول صورة العرب في وسائل الأعلام الغربية (الاقتباس من صفحة 86).

2 -Magda Abu-Fadil. (2005). " Is Coverage of Arabs , Islam Good ? Western Media Under Scrutiny"

3- ميشائيل كونجيك (1992) مشكلات تدفق الأخبار على المستوى الدولي وصور الأمم، دراسة تحليلية تتناول صورة العرب في وسائل الأعلام الغربية (الاقتباس من صفحة 86).

4- المرجع السابق 87.

5- علاء أبو ضهير. "صورة العرب في الغرب".

6- أبرهارد زايدل (2004) "العداء للإسلام في ألمانيا" صحيفة TAZ، 16 نوفمبر، ترجمة علي مصباح.
http:// www.qantara.de/webcom_article.php/_c-471/_nr-164/_i.html

ورفض الديمقراطية وبغير ذلك من الصور السلبية الشائعة عن المسلمين[1]، ولعل قيام فرنسا بحظر الحجاب في الأماكن العامة قد كان مدفوعاً ولو جزئياً بذلك الربط بين الحجاب والإرهاب، ويزداد الوضع حدة في ألمانيا منذ أحداث الـ 11 من سبتمبر، فوفقا لزاهي علاوي فإنه يتم الربط بين العرب المقيمين في ألمانيا وبين الإرهاب وذلك لأن عدداً من منفذي الهجمات على نيويورك وواشنطن كانوا وفقاً لما تقوله السلطات الألمانية والأمريكية من الطلبة العرب المقيمين في ألمانيا[2].

- عقيم فكرياً ويعاني من قصور أخلاقي، وتلك الصفات هي ما يمكن استخلاصه من كتابات الصحف الأوروبية ومن الصور الكاريكاتورية التي تنشرها عن العرب، ويلخص أحد المفكرين الغربيين نظرة مواطنيه إلى العرب بقوله، أنهم يعتبرونهم "بلا ماض ولا تقاليد، ولا تاريخ، وكأنه ليست لهم حياة يمارسونها، ولا مستقبل يعيشون لتحقيقه"[4].

3- المرأة العربية:

يتم تصوير المرأة المسلمة في الإعلام الألماني بأنها "مقهورة ولا تجد من يناصرها حتى بين أفراد أسرتها الذين تركوها فريسة لزوجها" ويمثل الحجاب وفقاً للإعلام الألماني صورة من صور القهر، وإذا أصرت المرأة المسلمة على ارتداء الحجاب فإن ذلك يعني من وجهة نظر الإعلام الألماني "إشارة إلى ابتعادها عن أغلبية السكان غير المسلمة بل ورفضها لها" وإذا لم ترتد الحجاب فإن ذلك يفسر في الأعلام الألماني أنه "نمط فطن من التمويه والتذكر" ومحالة للتغلغل التآمري"[6].

4- الإسلام

يتم الربط بين العربي والإسلام بطريقة تصور العرب كلهم كمسلمين وبعد الفراغ من ذلك الربط يتم تصوير الإسلام "دين العرب" بطريقة تعكس الآتي:

- يتعبد المسلمون في المسجد الذي يمثل مركزاً للتآمر، وقد احتلت ملاحقات الشرطة الألمانية للأفراد في المساجد، مثلاً صدر الصفحة الأولى من صحيفة "نور نبير غير ناخر يشتين" خلال عام 2002 بينما نشرت الأنباء التي تشير إلى أن تلك الملاحقات لم تصل إلى نتيجة في الجزء الداخلي من الصحيفة أو لم تنشر على الإطلاق[7]، وهكذا أصبح ينظر إلى المساجد على أنها "أوكار للإرهاب

1- رائدة شبيب (4 يونيو 2004) الحجاب موضوع جدل بديل.
http:// www.qantara.de/webcom_article.php/_c-471/_nr-164/_i.html

2- زاهي علاوي "العرب في ألمانيا.. من الجار الحميم إلى الغريب المشكوك به".
http://www.al-hewar.de/Arpolitik.htm

3- عادل علي "صور العربي في الغرب".

4- المرجع السابق.

5- حمد المتبولي (28-7-2005) مسلمو ألمانيا أشد تمسكا بدينهم"
http://www.islamonline.net/Arabic/news/2005

6- سابينة شير (2004) "الإسلام في الإعلام الألماني: حقائق مختلفة وصور مشوهة ترجمة عارف حجاج.

7- المرجع السابق.

وتشكل خطراً على الأمن داخل المجتمع الألماني"[1].

- الإسلام هو المسئول عن ختان الإناث.
- المسلمون يشكلون خطراً على المجتمع، ففي أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001 تبنت وسائل الإعلام الألمانية والأوروبية بعامة موقفاً معادياً للمسلمين خاصة الموجودين في أوروبا، وازدادت حدة ذلك الموقف الذي اتخذته وسائل الإعلام بتوالي الهجمات الإرهابية على الدول الأوروبية ومن بينها تفجيرات مدريد يوم 11 مارس 2004، وتفجيرات لندن يومي 7، 12 يوليو 2005 والتي أتهم المسلمون بالتخطيط لها وتنفيذها[2].

ولا تتمثل المشكلة في وجود لصوص وقطاع طرق عرب، ولا في وجود عرب يتصفون بالعقم الفكري والكسل وحب النوم وغيرها من الصفات المكروهة، ولكنها تتمثل في التعميم والإطلاق وتكوين صورة مقبولة للإنسان العربي تجمع السلبيات فقط " دون إدخال عنصر النسبية التاريخية أو عنصر الظروف الاقتصادية والاجتماعية " في التحليل [3].

وتبدو الصورة التي يرسمها الإعلام الأوروبي للعربي تميزيه، عنصرية، مشوهة، وتخدم المصالح الأوروبية الآنية، وينطبق على الصورة التي يرسمها الإعلام الغربي للعرب توصيف المفكر العربي الكبير إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) (نشر لأول مرة في عام 1978) للمعرفة الغربية حول الإنسان الشرقي[4]، فتلك المعرفة أو الصورة بحسب سعيد، تقول الكثير عن الدارس وليس عن الموضوع المدروس لقد وجت تلك الصورة بحسب تعبير سعيد، بواسطة الغرب من أجل الغرب، وفي إطار العلاقة مع الغرب.

ثالثاً: النتائج

يصور الإعلام الإنسان العربي أو المسلم بأنه يمثل تهديداً للمجتمع لأنه بدل أن يندمج في المجتمع الألماني يسعى إلى فرض دولته الدينية على المواطنين الأصليين، وإذا كان العربي والمسلم يمثل خطراً على المجتمع الذي يوجد فيه فإن التحدي أمام المجتمع الذي يواجه التواجد العربي والإسلامي يتمثل كما توحي وسائل الإعلام في البحث عن طريقة للتخلص منهم قبل أن تندلع في البلاد حرباً أهلية بسبب سعيهم إلى فرض دولتهم وقد أدى الخطاب المعادي للأتراك المسلمين والذي تداولته وغذته النخب السياسية الألمانية في بداية الثمانينيات من القرن الماضي بحسب الصحفي الألماني زايدل إلى العديد من الجرائم ذات الطابع العنصري

1- حمد المنبولي (28- 7- 2005) "مسلمو ألمانيا أشد تمسكا بدينهم".
2- المرجع السابق.
3- علاء أبو ضهير "صورة العرب في الغرب".

4 -the tern Orientalism refers to knowledge produced by " orientalists ".the tern orienalists refer to those who teach , research write about , or study the orient in its turn , the orient is defined as a vast region that spans myriad of cultures and counties.

وإلى تسميم الأجواء السياسية في ألمانيا لسنوات تلت[1] وبنفس الطريقة فإن التحامل الإعلامي على المسلمين في ألمانيا في أعقاب الـ 11 من سبتمبر 2001م قد زاد من حدة المشاعر المعادية للإسلام والمسلمين وأدى إلى ظهور عنصرية واضحة ضد الأتراك والعرب الذين يشكلون الجانب الأكبر من المسلمين هناك[2].

أما إذا كان العربي والمسلم خارج ألمانيا (وخارج أوروبا أيضاً) يمثل خطراً على الإنسان الأوروبي فإن غزو بلاده وإسقاط أنظمته والسيطرة على ثرواته تصبح كلها أمورا طبيعية وحقاً من حقوق الإنسان الغربي.

وفي عصر مثل فيه الإرهاب حرب الضعفاء ضد الأقوياء يفقد العربي والأوروبي أمنهما ويتم مصادرة المستقبل لحساب قوى التشدد والتمييز.

رابعاً: طرق المعالجة

بالنظر إلى العوامل التي تساهم في صنع صورة الإنسان العربي في أوروبا عامة وفي ألمانيا على نحو خاص، وبالنظر إلى المخاطر التي يمكن أن يسفر عنها مثل هذا التمثيل النمطي للعرب فإنه لابد من تضافر الجهود التي من شأنها إحداث تحول في التصورات الخاطئة لدى الأوروبيين عن العرب ولدى العرب عن الأوروبيين.

ولعل أهم الخطوات التي يمكن اتخاذها تتمثل في الآتي:

1. إعادة النظر في المناهج الدراسية في الجانبين وتصحيح الصور النمطية التي قد تحتويها عن الآخر.
2. التركيز على التبادل الثقافي والبرامج التي من شأنها زيادة وعي الألمان والأوروبيين ومعرفتهم بالعرب والمسلمين والعكس على أن تعطي الأولوية في الاستهداف للعاملين في المجالات الإعلامية والثقافية وقادة الرأي.
3. الاستمرار في الحوار العربي الأوروبي وتوسيع نطاقه ليشتمل على موضوعات أخرى مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والموضوعات الأخرى التي تهم الشباب الناشطين.
4. العمل على تقوية وتعزيز الروابط الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين العرب والأوروبيين.
5. العمل على إزالة بؤر التوتر والصراع وفي مقدمتها الصراع العربي الإسرائيلي الذي مثل وما زال يمثل مصدراً للتوتر في العلاقات العربية الأوروبية وسبباً لتقديم الإعلام الأوروبي صورة غير ممثلة للعرب إلى الأوروبيين.
6. العمل على تصفية الإرث الاستعماري بوضع حلول للمشاكل الحدودية بين أوروبا والدول العربية.

العمل على وضع الحلول المناسبة لمشاكل الهجرة غير الشرعية وتهريب المخدرات وغير ذلك من المشاكل.

1- ابرهارد زايدل (2004) "العداء للإسلام في ألمانيا".

2- حمد المتبولي (28-7-2005) "مسلمو ألمانيا تمسكا بدينهم".

المراجـــع :

1. العلاقات العامة وفنونها، د. محمد عبد الجبار.
2. موضوعات إعلامية، د. محمد عبد الجبار.
3. تحليل مضمون، د. محمد عبد الجبار.
4. الإعلام العلمي والجمهور، المنظمة العربية للعلوم، تونس، 1994م.
5. الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر- القاهرة.
6. فضاء الإعلام، سلسلة الدارسات الإعلامية، الجزائر 1994م.
7. ثورة المعلومات وابعادها الاتصالية والتربوية، دراسة د/ محمد عبد الجبار.
8. الترهيب بصدام الحضارات بالعولمة، صبحي محمد غندور، 1999م.
9. بين عصرين إعلاميين، د. محمد رضا، مجلة الشاهد، شباط 1999م.
10. العرب وعصر المعلومات، قراءة أولية، د. نبيل علي، مجلة العربي، ديسمبر 1994م.